مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 | EISSN 2602-6767 | المجلد 12 / العدد: 01 (2026)، ص 652- 678

الأنساق الحضرية وإشكالية التمدن: مقاربة سوسيولوجية بين النظرية الكلاسيكية والواقع الجزائري

Urban patterns and the problem of urbanization: A sociological approach between classical theory and Algerian reality

أمينة دويبي
جامعة مرسلي عبد الله _ ولاية تيبازة – الجزائر
douibi.amina@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/22 تاريخ القبول: 2026/05/16 تاريخ النشر: 2026/06/05

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية علم الاجتماع الحضري في تحليل الأنساق الاجتماعية للمدينة وفهم إشكالات التمدن وما يرافقها من تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية، مع التركيز على السياق الجزائري. وتنبع أهمية الموضوع من الحاجة إلى قراءة التغيرات العميقة التي يشهدها الفضاء الحضري، بما في ذلك الفوارق الطبقية، أزمة السكن، ظاهرة الترييف الحضري، إضافة إلى أنماط التفاعل داخل بعض الفضاءات الحضرية مثل الساحات والمقاهي والأسواق الشعبية. ويعتمد هذا المقال على مراجعة تحليلية نقدية لأهم التصورات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة حول المدينة، إلى جانب مقاربة وصفية-تحليلية لبعض ملامح الواقع الحضري في الجزائر، بهدف إبراز الكيفية التي يمكن من خلالها توظيف الأدوات السوسيولوجية في فهم التحولات الحضرية وتفسير تعقيداتها.

وينتظم المقال في أربعة محاور أساسية:

أولا: الإطار النظري للمدينة في الفكر السوسيولوجي الكلاسيكي والمعاصر.

ثانيا: السوسيولوجيا الحضرية: المدينة كإطار للتحليل.

ثالثا: المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالتمدن في الجزائر.

رابعا: أهمية الفضاءات العامة في تنظيم التفاعل الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي وإعادة إنتاج التضامن الاجتماعي.

ويخلص المقال إلى أن الجمع بين المقاربة النظرية والتحليل السوسيولوجي للواقع الجزائري يسمح بفهم أعمق لديناميات التمدن، ويفتح المجال أمام تطوير مقاربات تحليلية أكثر تكاملا لفهم التحولات الحضرية الراهنة.

الكلمات المفتاحية : الأنساق الحضرية، التمدن، علم الاجتماع الحضري، الفضاءات العامة.

Summary

This article aims to highlight the importance of urban sociology in analyzing the social structures of cities and understanding the challenges of urbanization and its accompanying social, economic, and cultural transformations, with a focus on the Algerian context. The importance of this topic stems from the need to understand the profound changes occurring in urban spaces, including class disparities, the housing crisis, the phenomenon of ruralization, and patterns of interaction within certain urban spaces such as squares, cafes, and popular markets. This article employs a critical analytical review of the most important classical and contemporary sociological conceptions of the city, alongside a descriptive-analytical approach to some features of urban reality in Algeria. The goal is to demonstrate how sociological tools can be utilized to understand urban transformations and interpret their complexities.

The article is organized into four main sections:

First: The theoretical framework of the city in classical and contemporary sociological thought.

Second: Urban sociology: The city as a framework for analysis.

Third: Social problems associated with urbanization in Algeria. Fourth: The importance of public spaces in organizing social interaction, strengthening social cohesion, and reproducing social solidarity.

The article concludes that combining a theoretical approach with a sociological analysis of the Algerian reality allows for a deeper understanding of urbanization dynamics and opens the door to developing more integrated analytical approaches for understanding current urban transformations.

Keywords: Urban systems, urbanization, urban sociology,

المؤلف المرسل

1. مقدمة :

يشكل علم الاجتماع الحضري أحد أهم فروع السوسيولوجيا، إذ يهتم بدراسة المدينة كنظام اجتماعي معقد يجمع بين البنية العمرانية والثقافية والسلوك الاجتماعي، ويؤثر على علاقات الأفراد والجماعات داخل الفضاء الحضري.

استطاعت السوسيولوجيا أن تفرض حضورها كحقل علمي ومستقل، من خلال انخراطها في تحليل الأنساق والظواهر الاجتماعية داخل مجتمع يشهد تحولات وتفاعلات متشابكة، وقد كانت البداية مع رواد السوسيولوجيا الكلاسيكية، مثل **إميل دوركايم**، **ماكس فيبر**، **كارل ماركس**، **جورج زيمل**، و**لويس ويرث**، الذين وضعوا القواعد والمناهج التحليلية لعلم الاجتماع قصد فهم أهم التحولات التي مست النسيج الاجتماعي عامة، والبنى الحضرية على وجه الخصوص، حيث عمدوا إلى مقاربة الظواهر الاجتماعية التي مست مجتمعاتهم عقب الثورات التي عرفتها أوروبا في تلك الحقبة ، بدءا من الثورة السياسية بفرنسا و الفكرية بألمانيا ، وانتهاءا بالثورة الصناعية بإنجلترا. وقد كان لهذه الثورات انعكاسات عميقة على النسق الحضري، إذ تغيرت أنماط الحياة وتضخمت المدن، تزامنا مع تمدين متسارع، وتوسع صناعي كثيف. كما أفرز هذا الواقع الحضري الجديد تحولات اجتماعية بارزة، من أهمها تزايد موجات الانتقال من الأرياف إلى المراكز الحضرية، وما رافقها من حراك اجتماعي أعاد تشكيل البنيات والعلاقات الاجتماعية والثقافات السائدة في تلك الفترة. هذا ما جعل المدينة مختبرا مثاليا للدراسة والتحليل السوسيولوجي، ودفع برواد علم الاجتماع الأوائل إلى توجيه اهتمامهم بالظاهرة الحضرية كموضوعا محوريا.

ومع التحولات الديموغرافية والاقتصادية التي يشهدها العصر الحديث، برزت أمام المدن تحديات أكثر تعقيدا، شملت تنامي **الحركات السكانية الداخلية**، واتساع ظاهرة **العزلة الاجتماعية**، وتزايد مظاهر **الترييف الحضري**، إضافة إلى **تفكك شبكات التضامن التقليدية**، واشتداد حدة **الفوارق الطبقية**، فضلا عن **أزمات السكن والنقل**، وهو ما يجعل دراسة المدينة اليوم ضرورة لفهم ديناميات النسق الإجتماعي وآثار التحضر المتسارع.

وانطلاقا من هذه الخلفية النظرية والسياقية، يهدف هذا المقال إلى مناقشة الإشكالية المحورية التالية: كيف يساهم علم الاجتماع الحضري في تفسير الأنساق الاجتماعية للمدينة وفهم مشكلات التمدن وما يصاحبها من أزمات وآثار، خاصة في السياق الجزائري؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية يمكن صياغتها على النحو الآتي: كيف تناولت السوسيولوجيا الكلاسيكية والمعاصرة المدينة في إطارها النظري؟، ما أبرز المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالتمدن في المدن الجزائرية، وكيف تعكس طبيعة الأنساق الحضرية؟، كيف تتيح السوسيولوجيا الحضرية النظر إلى المدينة كإطار للتحليل في

فهم التحولات الحضرية المعاصرة؟، وما أهمية الفضاءات العامة في المدن الجزائرية في تنظيم التفاعل الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي وإعادة إنتاج التضامن؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات، يعتمد المقال على أربعة محاور مترابطة: أولا: الإطار النظري للمدينة في الفكر السوسيولوجي الكلاسيكي والمعاصر، ثانيا: السوسيولوجيا الحضرية بوصفها إطارا للتحليل، ثالثا: المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالتمدن في الجزائر، رابعا: أهمية الفضاءات العامة في تنظيم التفاعل الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي وإعادة إنتاج التضامن. ومن شأن هذه المحاور أن تتيح قراءة سوسيولوجية أعمق للواقع الحضري، بما يوفر أدوات تحليلية تساعد على تفسير التحولات الحضرية.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات السابقة قد تناولت قضايا **التمدن والتحضر** من زوايا متعددة، حيث ركزت بعض الأعمال على **الأزمات السكنية ومشاكل النقل**، فيما اهتمت أخرى **بالتحولات الثقافية والهوية في المدن الجزائرية**، كما ركزت أبحاث ميدانية على **ظاهرة الترييف الحضري** واتساع **الفوارق الاجتماعية**. غير أن هذه الدراسات – على أهميتها – غالبا ما اقتصر تحليلها على السياقات الغربية أو العربية، بينما يظل السياق الجزائري بحاجة إلى مقاربات نقدية أعمق تكشف خصوصيته، وهو ما يسعى هذا المقال إلى معالجته. إضافة إلى ذلك، يفتح المقال آفاقا بحثية لمقاربات مقارنة مستقبلية تجمع بين **الإطار النظري للسوسيولوجيا الحضرية** و**تحليل النسق الاجتماعي للمدينة الجزائرية** في شموليته.

يعتمد هذا المقال على منهج **تحليلي نقدي** يقوم على قراءة الأدبيات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة، مع توظيفها في تفسير بعض مظاهر الواقع الحضري الجزائري في ضوء هذه المرجعية النظرية، على النحو الآتي: فقد تم استحضار أعمال رواد السوسيولوجيا الكلاسيكية (مثل **دوركايم، ماركس، فيبر، زيمل**) لتحليل التحولات الاجتماعية والنسق الحضري، كما تم توظيف مقاربات حديثة لسوسيولوجيا المدينة والسوسيولوجيا الحضرية المعاصرة (**هابرماس، لوفيفر**) لفهم دور الفضاءات العامة في التفاعل الاجتماعي وإعادة إنتاج التضامن. كما اعتمد المقال على **قراءة سياقية** لبعض مظاهر المدن الجزائرية الكبرى، مع الاستناد إلى أمثلة دالة كالساحات، الأسواق الشعبية، والمرافق العامة. وتهدف هذه المنهجية إلى **ربط النظرية بالسياق الاجتماعي المحلي**، وتوفير إطار تفسيري يساعد على فهم بعض الإشكالات المرتبطة بالتمدن والتحولات الحضرية.

أولا: الإطار النظري للمدينة في الفكر السوسيولوجي الكلاسيكي والمعاصر:

لقد شكلت الظاهرة الحضرية، باعتبارها مختبرا غنيا بالتحولات الاجتماعية، محور اهتمام مركزي في الدراسات السوسيولوجية لدى رواد علم الاجتماع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أمثال **كارل ماركس، إميل دوركايم، ماكس فيبر، جورج زيمل ورواد مدرسة شيكاغو الأوائل**. حيث كرس هؤلاء العلماء جهودهم لتحليل المدينة من منظور سوسيولوجي، من خلال صياغة مفاهيم نظرية وبناء

الفرضيات، وتحليل النتائج الناجمة عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها المدن خلال تلك الحقبة التاريخية، واستكشاف طبيعة الأفعال والسلوكيات الاجتماعية، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، داخل الوسط الحضري.

ويواصل الفكر السوسيولوجي المعاصر هذا المسار، مع التركيز على الفضاءات العامة وأشكال التفاعل الاجتماعي، ما يجعل دراسة المدينة أداة محورية لفهم الديناميات الحضرية وتحليل التحديات المرتبطة بالتمدن المعاصر.

1- المدينة "ثورة اجتماعية" عند لويس ممفرد:

عرف **لويس ممفرد** (1879 – 1956) المدينة من خلال الوظائف التي قامت بها ، فقال " إن المدينة هي ما أبعدت المجتمع عما ركز فيه سابقا من شؤون التغذية و التناسل ، و وضعت له أهدافا حياتية جديدة أبعد من ذلك (نصحي، 2016، صفحة 51)"[1] و مع أن المدينة القديمة لم تكن تتجاوز في حجمها قرية كبيرة معاصرة، إلا أنها " كانت تشكل نسقا اجتماعيا جديدا لم تكن الإنسانية قد ألفته من قبل (الحسيني، 1981، صفحة 18)" ، فقد شكلت هذه الثورة الحضرية نظاما اجتماعيا جديدا، تجاوزت حدود الكفاف (حدود الضرورات الأساسية والمستوى المعيشي المحدود)، وعززت تفاعل الانسان مع بيئته، ودفعته إلى ابتكار وسائل للتحكم في العوامل الطبيعية، كالفيضانات على سبيل المثال، إذ دفعت الإنسان إلى ابتكار أنظمة مادية ومؤسساتية للسيطرة على قوى الطبيعة، وهو ما مهد لظهور أشكال جديدة من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي داخل المدينة.

2- المدينة "مجتمع التضامن العضوي" عند إميل دوركايم :

رغم أن **إيميل دوركايم** (1858-1917) يعد المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع الحديث، إلا أنه لم يقدم نظرية حضرية مستقلة أو تعريفا صريحا للمدينة، ولم يضع كذلك منهجية خاصة لدراسة الظاهرة الحضرية. ومع ذلك فقد تجلى البعد الحضري ضمنيا في مشروعه السوسيولوجي، من خلال اهتمامه بالبنى الكبرى وميكانيزمات تحولها.

إذ برزت المدينة في هذا السياق ضمن اهتمامه بتقسيم السوسيولوجيا إلى مورفولوجيا اجتماعية وفيزيولوجيا اجتماعية. وقد أتاح هذا التقسيم الدقيق، المجال لتوسيع أفق المقاربة السوسيولوجية عنده نحو قضايا التحولات البنيوية وآليات تشكلها.

كما شكلت "مسألة التغير الاجتماعي والانتقال التدريجي للمجتمعات على سلم النمو والتقدم، محورا رئيسيا لتحليلاته (المعطي، 1978، صفحة 82)"، وهو ما تجلى بوضوح في أطروحته "تقسيم العمل الاجتماعي"، التي قدم **دوركايم** من خلالها تحليله الشهير لأنماط التضامن الاجتماعي، مميزا بين

التضامن الآلي الذي يطبع المجتمعات التقليدية، والتضامن العضوي الذي يميز المجتمعات الحديثة والحضرية حيث يرى **دوركايم،** أن
علاقة الفرد بالمجتمع تختلف باختلاف طبيعة المجتمع. ففي المجتمعات التقليدية أو البسيطة يسود **التضامن الآلي**، "حيث يتشابه الأفراد في أنماط عيشهم وقيمهم، ويخضعون للأعراف والعادات الموروثة، دون أن يتمتعوا باستقلالية فردية واضحة" (ناصيف، 2006، صفحة 66) أما في المجتمعات الحديثة أو المتقدمة، فإن **التضامن العضوي** هو الذي يهيمن، "إذ يغدو الأفراد متمايزين ومختلفين في أدوارهم، غير أن هذا الاختلاف يجعلهم أكثر ترابطا بفعل الحاجة المتبادلة الناجمة عن تقسيم العمل" (المالكي:، 2016، صفحة 15) فتتشكل شبكات معقدة من التفاعلات التي تتكامل فيها الوظائف وتتضامن لتحقيق استقرار المجتمع.

لقد اعتبر **دوركايم** أن الانتقال من التضامن الآلي، القائم على التشابه بين الأفراد في المجتمعات التقليدية، إلى التضامن العضوي، القائم على التباين والتكامل الناتج عن تقسيم العمل في المجتمعات المتقدمة، يمثل أساس التحول نحو المجتمع الحضري.

ويفسر **دوركايم** هذا التحول من خلال ظاهرتي الكثافة المادية (أي تزايد عدد الأفراد في رقعة جغرافية محدودة) (fijalkom، 2007، صفحة 27)والكثافة الروحية (أي قوة وكثافة التبادلات والتفاعلات الاجتماعية بينهم) (بوخريص، 2019، صفحة 25) فالتمايز الاجتماعي، الذي يعد شرطا للتقدم ولبروز التضامن العضوي، لا ينشأ إلا من تلاقي هذين البعدين معا. ومن هنا، تصبح المدينة – بما توفره من تكدس سكاني وتفاعلات اجتماعية مكثفة – الفضاء الأكثر خصوبة لتطور التضامن العضوي، والشكل الأرقى والأكثر تعقيدا للتنظيم الاجتماعي، والمختبر الأمثل لفهم سيرورة التغير الاجتماعي.

3- النموذج المثالي للمدينة عند ماكس فيبر:

لقد عالج **ماكس فيبر(1860 - 1924)** نمط المدينة في ضوء دراسته للنموذج المثالي الذي سماه "المجتمع الحضري الكامل" و "يتميز هذا النموذج بالسيطرة الواضحة : للعلاقات التجارية ، الاستقلال الذاتي (المدينة (الاستقلالية السياسية) ، السوق (استقلال اقتصادي) ، المحكمة (استقلال القضاء)...الخ)، تطوير علاقات و تنظيمات اجتماعية متمايزة" (الكردي، 1986، صفحة 85)، حيث ربط **فيبر** نمو المدن بالتغيرات الأساسية التي طرأت على الثقافة الغربية و بخاصة القيم الدينية ، و لقد "عرف **فيبر** المدينة في ضوء الترتيبات الاجتماعية التي تسمح بالتطور الكامل للقدرات الفردية و التجديد الاجتماعي ، و كان هذا التعريف بمثابة النموذج المثالي للمدينة" (المالكي:، 2016، صفحة 45)، إن المسألة الأولى التي ينبغي التنبه إليها هي أن **ماكس فيبر**، وهو يسعى إلى النموذج المثالي في المدينة ، كان يعتبر أن لا وجود للمدينة بالمعنى الذي يقدمه إلا في أوروبا الغربية ، "لأن المدينة هي قمة ما بلغته العقلنة الحضرية" (قاسم:، تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري،، 2020/2019، صفحة 32)، حيث يقوم المشروع الفكري **لماكس فيبر** في تحليله للمدينة على مرتكزين

أساسيين هما : العقلنة و الشرعنة ، و هذا راجع إلى خصوصية الحياة الحضرية التي تفرض هذا النوع من العلاقات الذي يتصف "بالرشد و العقلانية و يكون أكثر بعدا عن العاطفية و الانفعالية" (A، 2002، صفحة 58)، بناءا على مقاربة **ماكس فيبر** فالمدينة باعتبارها نمط من أنماط التغير الاجتماعي والثقافي، يجد الفرد الحضري نفسه دائما في البحث عن علاقات اجتماعية جديدة (بديلة، غير عاطفية وعقلانية و وظيفية) يحاول من خلالها التكيف مع وظيفة الحياة المدنية بناءا على قواسم مشتركة و اهتمامات متقاربة، كالدفاع ضد تعقد الحياة الحضرية. وهو بذلك يعتبر أول محاولة لوضع تعريف سوسيولوجي للمدينة أي التعريف الذي يهتم بنوعية العلاقات الاجتماعية الناجمة عن الكثافة السكانية.

في هذا الصدد يقول **ماكس فيبر** في وصفه لطبيعة المدينة أنها "هي ذلك الشكل الاجتماعي الذي يسمح بظهور أعلى درجات الفردية و التفرد ، و حينما نعرف المدينة ، لا نقصد بذلك وصف أسلوب واحد للحياة و لكننا نصف مجموعة بناءات اجتماعية ، يمكن أن تؤدي إلى ظهور أنماط متعددة و ملموسة في أساليب الحياة ، و كأن المدينة على هذا الأساس تمثل بناءا اجتماعيا يشجع الفردية الاجتماعية و التجديد ، و هي بذلك وسيلة التغير التاريخي" (الصمد،، 2011، صفحة 151)، ذلك أن النزعة التي كان ينتصر إليها **ماكس فيبر** هي النزعة التاريخانية التي كانت ترفض أن ينظر إلى علم الاجتماع كعلم نظري (أو علم استنباطي) يتوقع الوقائع من مبادئ نظرية.

في تعريفه للمدينة يقول **ماكس فيبر**: "يمكننا أن نحاول تعريف المدينة بطرائق متعددة، وكل التعاريف تشترك في نقطة واحدة، وهي أن المدينة لا تكمن في سكن واحد أو مساكن منتشرة بشكل مبعثر، بل تتشكل المدينة من السكن المتجمع (ولو نسبيا) ودور متلاصقة، إن التصور الشائع في الوقت الحاضر يربط المدينة بخصائص كمية محضة: إن المدينة هي المحلة الكبرى (العزيز، 2007، صفحة 126)"، حيث يعتبر **ماكس فيبر** بأن الحجم لوحده لا يشكل المعيار الحاسم. ولا يكتفي **فيبر** بهذا التعريف السوسيولوجي بل سينطلق مباشرة ليعطينا مجموعة من النماذج المثالية الممكنة حول المدينة:

المدينة باعتبارها كيانا اقتصاديا: إنها وقبل كل شيء سوق دائم، يتوخى منه توفير الضروريات والحاجات اليومية من المواد المنتجة، ويؤكد **فيبر** على الطابع الاقتصادي للمدينة، حيث يعده الوظيفة الأولى الأساسية التي تصطلح بها المدينة.

المدينة كيان سياسي: إن كل مدينة باعتبارها مقرا للسوق وللحامية العسكرية، فإنها تستدعي توفر الأمن بشقيه التجاري من جهة والعسكري من جهة أخرى، حيث لا يمكن حسب **فيبر** تشكل واستمرار السوق إلا في ظل شروط أمنية مرضية، وهذا لا يتوفر إلا بتكريس نمط معين من التنظيم الإداري والقانوني.

المدينة كيان إداري قانوني: إن المدينة حسب **فيبر** تشكل إلى جانب دورها الاقتصادي والسياسي مركزا إداريا، حيث يتواجد ممثلو الحكم المركزي الذي يقنن مختلف الوظائف الأمنية والاقتصادية والسياسية والتشريعية.

يلاحظ أن السمة الغائبة أكثر في المدن غير الأوروبية و العربية بالخصوص هي انعدام إشراك و مشاركة المواطنين في تسيير أمور مدينتهم من خلال ممثليهم المنتخبين ، و تلك هي الميزة التي تتفوق بها المدينة الغربية على باقي مدن العالم في نظره ، حيث يعتبر **ماكس فيبر** أن "النموذج المثالي للجماعات الاجتماعية الحضرية تتميز بسيادة العلاقات التعاقدية الفرعية و تطوير تنظيمات اجتماعية (الكردي، 1986، صفحة 85)"لذلك فإن مشكلة المدينة اليوم خاصة العربية هي أولا وقبل كل شيء مشكلة حوكمة بالدرجة الأولى بسبب قلة فاعلية النظم السياسية و ضعف التسيير والتخطيط ، و ما يحسب **لفيبر** في هذا المجال، هو أنه كان واعيا تماما بأن هناك الكثير من المدن التي لن تحتوي على كل عناصر التعريف أو الشروط المشار إليها أعلاه، و بالتالي لن تكون مجتمعا حضريا كاملا بالمعنى الذي حدد من قبل .

4- كارل ماركس والتحليل المادي التاريخي للظاهرة الحضرية :

تقوم الدعائم المنهجية للبحث السوسيولوجي عند **كارل ماركس** (1818 – 1883) على "المنهجين: الجدلي والتاريخي (المعطي، 1978، صفحة 72)"، ولا شك أن **كارل ماركس** بما تركه من نصوص مهمة حول العلاقات التاريخية بين المدينة والقرية "شكل بداية التفكير السوسيولوجي في ظاهرة التحضر، حتى وإن لم تشكل المدينة موضوع بحث قائم الذات في أعماله، و كما أكد **هنري لوفيفر**، فإن **ماركس** ليس عالم اجتماع حضري و إن نشأت سوسيولوجيا حضرية رائدة من صلب الماركسية (بوخريص، 2019، صفحة 12)، فحسب **ماركس** فالقوانين المادية الموضوعية هي التي تسير المدينة ، و ليست القيم الثقافية، "فالبناء التحتي الذي تشكله القوانين الاقتصادية ، هي التي تؤثر على البناء الفوقي الذي تشكله المعايير والقيم الثقافية و السياسية ، و بالتالي يخضع تطور المجتمع و الحياة الحضرية داخل المدن إلى العلاقات الديالكتيكية ، ما بين الفوقي الذي تشكله الأفكار والأيديولوجيات التي تحملها الطبقة الحاكمة والسياسيين، و البناء التحتي الذي يشكله الاقتصاد و علاقات الإنتاج" (ناصيف، 2006، صفحة 62) ، ولهذا ركز **كارل ماركس** على التناقضات التي تحكم سير المجتمع الحضري عبر مراحل تطوره التاريخية .

ومن هذا المنطلق نظر إلى المدينة باعتبارها تلعب دورا أساسيا ومؤثرا في نشأة الوعي الطبقي وأنها مرحلة من مراحل التعبير الثوري، ومن تم فمفهوم المدينة في أعمال **ماركس** تشير إلى أنها نتاج للقوى المجتمعية، هذا التصور الماركسي للمدينة يندرج ضمن سلسلة من القراءات السوسيولوجية التي

تناولت الفضاء الحضري بوصفه انعكاسا لعلاقات القوة، كما هو الحال في تحليلات **ماكس فيبر** و**هنري لوفيفر**، الذين سعيا بدورهما إلى تفكيك العلاقة بين الفضاء والسلطة والبنية الاجتماعية.

قسم **كارل ماركس** بناء المجتمع الحضري إلى طبقتين رئيسيتين: (ناصيف، 2006، صفحة 66)

- الطبقة المالكة (ملاك، إقطاع، رأسماليين) تبعا لمرحلة التطور، ونمط أسلوب الإنتاج، هذه الطبقة تعيش حياة حضرية يسودها البذخ والترف وتقيم في الأحياء الحضرية، أو في الأبراج والقصور الفخمة.

- الطبقة العمالية الكادحة التي تبيع قوة عملها للرأسمالي وصاحب وسائل الإنتاج، من أجل الحصول على قوتها اليومي للاستمرار في الحياة. ورغم أن الطبقة العمالية هي التي تنتج الثروة وهي التي تنتج الإسكان، إلا أنها لا تستفيد من إنتاجها هذا، حيث يتحول ربحها إلى جيوب أصحاب رؤوس الأموال، وتبقى الطبقة العمالية (البروليتاريا) تقطن الأحياء الحضرية المتخلفة على هوامش المدن.

فالطرح الماركسي في تحليله للمدينة ركز على وضعية الطبقة العاملة، وذلك من خلال عرض حالة البؤس والفقر، وكذلك حدة الاستغلال الذي تتعرض له ذات الطبقة.

من هنا نلاحظ أن الاتجاه المادي التاريخي في علم الاجتماع قد ركز على مسألة تقسيم العمل كأساس للتمييز بين البادية(الريف) والمدينة. و يقول **كارل ماركس** و **انجلز** في كتابهما المعنون (بالإيديولوجيا الألمانية): "أن أكبر تقسيم للعمل المادي و الفكري هو الفصل بين البادية والمدينة، إن تقسيم العمل داخل مجتمع ما يفترض أولا تقسيم العمل إلى عمل صناعي و تجاري من جهة و عمل فلاحي من جهة أخرى، و من تمة التفريق بين البادية و المدينة وتعارض مصالحهما في كثير من المستويات" (fijalkom، 2007، صفحة 9)، كالآتي : "**أولهما :** المدينة هي مكان تركز السكان ، وانتاج رأس المال ، ووسائل الإنتاج . **ثانيهما:** الأساس المادي للمدينة يبنى على العمل والتبادل وليس على الأرض. **ثالثهما:** كون المدينة هي مكان تطور العلاقات الاجتماعية التي تتميز بنوع من الترابط المادي، فالناس يحتاجون بعضهم، كل حسب نشاطه الخاص يلجأ إلى المركز بتقديم مصالحه الخاصة، وهذا ما يؤدي إلى المنافسة والعزلة. **رابعا:** تساعد المدينة على نشأة الطبقية" (بنمورو، 2013، صفحة 13)، فمن جهة البرجوازية ومن جهة أخرى البروليتاريا بما يحملانه من تعارض.

5- المدينة والحياة العقلية عند جورج زيمل :

كتب **جورج زيمل** (1858 – 1918) مقالة 1903 عنوانها "المدينة الكبيرة والحياة العقلية" يحاول من خلالها أن يبين لنا سبب الغلظة أو الجلافة التي ربما يلمسها في أطباع وفي صفات أهل المدينة حيث يحاول في هذه المقالة مناقشة ما نسميه مشكلة الحداثة أو أزمة الحداثة التي تتمثل في أن الأفراد يحاولون دائما تأكيد استقلاليتهم وحريتهم التي اكتسبوها بعد القرن الثامن عشر ضد القوى التاريخية والثقافية والاجتماعية التي تحاول أن تنزع منهم هذه الفردانية.

ففكرة الحداثة عنده هي الصراع بين الذاتية (الفرد) وبين الموضوعية (المدينة)، إذ أهم ما يميز المدينة الحديثة في نظره هو ما أسماه بتكثيف الإثارة النفسية والعصبية التي ينبغي على ساكن المدينة أن

يتغلب عليها. "فالمدينة تهاجم باستمرار قاطنيها بأشكال مختلفة وأصوات متباينة" (السيد، علم الاجتماع الحضري، ، 2006، صفحة 40)، فيتولد عند ساكن المدينة آلية أو ميكانيزم دفاعي نفسي ضد محفزات الشعور، يقوم على افتراض أن هناك ذاتية وهوية بشرية ومن هنا يرى **جورج زيمل** أن **الجلافة الظاهرية** أو **الغلظة في العلاقات الحضرية** ما هي إلا **استجابة تكيفية** مع نمط الحياة في المدينة الكبرى، حيث يصبح الانسان **كائنا عقلانيا أكثر منه وجدانيا.**

يحاول أن يحمي نفسه من خلال هذه العملية واتخاذ الموقف اللامبالي الذي يجعله لا يتأثر بكل هذه التحفيزات والمثيرات ويتكيف مع البيئة الخارجية، ويكون بذلك أكثر عقلانية في رادات أفعاله مقارنة مع رادات الأفعال العاطفية الموجودة في الأرياف حيث يحاول الناس في المدينة أن يعيشوا في علاقة عاطفية وعقلية ووظيفية مع الآخرين. (السيد، علم الاجتماع الحضري، ، 2006، صفحة 40)

فصراع الفرد في المدينة الحديث لم يعد صراعا ضد الطبيعة وإنما هو صراع الإنسان ضد الإنسان من أجل إثبات وجوده، وهذا الصراع من أجل تأكيد الفردانية والحرية هو جوهر الحداثة عند الإنسان الحديث.

6- المدينة كأسلوب حياة عند لويس ويرث :

يعرف **لويس ويرث** (1897 – 1952) "المدينة على أنها موقع دائم يتميز بكبر الحجم و بكثافة عالية نسبيا و بدرجة ملحوظة من اللاتجانس بين سكانها" (حافظ:، ،1987 ، صفحة 29) حيث ينظر إلى المدينة بوصفها كيانا اجتماعيا له أنماط حياتية خاصة لم تتحدد بصورة كاملة إلا في وقت متأخر نسبيا ، ويعد **لويس ويرث** أول من تناول قضية المدينة بشكل مباشر بوصفها كيانا اجتماعيا، وذلك من خلال مقالته المرجعية سنة 1938 بعنوان :**"الحضرية كأسلوب في الحياة"**(urbanism as a way) ، التي سعى من خلالها إلى توجيه أنظار الباحثين نحو أهمية **البعد الاجتماعي** بوصفه أحد المقومات الجوهرية للحياة الحضرية، مبرزا أن التحضر لا يقتصر على البنية المادية للمدينة، بل هو نمط حياة يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية والتنظيمات التي تنتجها الحياة المدنية.

وهو ما يعكس في جوهره **الترابط الوثيق بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والإدارية التي** تسهم مجتمعة في تحديد طبيعة هذا الأسلوب الحياتي، و**في تشكيل أنماط الحياة داخل المدينة.**

يستنبط **لويس ويرث** مجموعة من القضايا استنادا على متغير الحجم، مؤداها أن كبر الحجم وزيادة عدد السكان يزيد من اتساع نطاق التنوع الفردي وارتفاع معدل التمايز الاجتماعي بين الأفراد، الأمر الذي يؤدي إلى العزل المكاني للأفراد والجماعات على أساس السلالة أو المهنة أو المكانة، وبذلك تزيد العلاقات الاجتماعية انقسامية، وتصبح أكثر نفعية مما يؤثر ذلك في النسق الاقتصادي والسياسي والثقافي.

لقد خلص **لويس ويرث** إلى أن "أهم ما يميز حياة المدينة ضعف الروابط القرابية والجيرة وتضاؤلهما، ونتيجة لذلك تظهر المنافسة وميكانيزمات الضبط الرسمي لتحل محل روابط التضامن

والعلاقات التي كانت سائدة من قبل، ويمكن تفسير سبب ذلك في التطور الصناعي وتوسيع الأنشطة التجارية وسرعة استيعاب سكانها للمفاهيم والقيم الثقافية والاجتماعية السائدة، الأمر الذي جعل المراكز الحضرية أكثر عرضة من غيرها للتأثر بهذه المتغيرات" (سمية، 2014، صفحة 20) وبذلك أصيبت الروابط والعلاقات التقليدية (القرابية) بالتمزق والتصدع وحلت محلها علاقات اجتماعية خارجية تقوم على مبدأ المصلحة المشتركة والاعتمادية المتبادلة.

6- المقاربة الإيكولوجية للظاهرة الحضرية عند روبرت بارك

اعتبر **بارك** أن النسق الحضري يتشكل من أسس إيكولوجية تقوم عليها نظمه الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتربوية، وهذه النظم لا تعمل بمعزل عن بعضها البعض وإنما تتأثر بالقوى المحورية المتمثلة في **المنافسة والصراع**. وفي مركز هذا النسق، تبرز وظيفة الضبط الاجتماعي باعتبارها المشكلة الجوهرية للمجتمع، بل وأهم إشكالية يطرحها علم الاجتماع الحضري.

يرى **روبرت بارك** أن التغير الاجتماعي يسير وفق تتابع محدد، حيث يبدأ: (الدوس، 15 أبريل 2022، صفحة 22)

أولا: بحالة من عدم الرضى والقلق إزاء أوضاع اجتماعية معينة، وهو ما يفضي إلى بروز حركات اجتماعية تهدف إلى الإصلاح وإعادة بناء المدينة.

ثانيا: اعتبر **بارك** أن التوسع الحضري المستمر يولد ظواهر حضرية جديدة ومختلفة، تتجلى خاصة في مدينة شيكاغو التي مثلت نموذجا فريدا بسبب تنوعها الإثني وما صاحبه من صعوبات في إدماج الأقليات داخل المجتمع الحديث.

ثالثا: وفي امتداد لهذا التتابع، وانطلاقا من المنظور الإيكولوجي الإنساني، يرى **بارك** أن دراسة الإنسان لا يمكن أن تتم بمعزل عن البيئة المحيطة به، بل ينبغي أن تنطلق من تحليل التفاعلات المستمرة بينه وبين الوسط الطبيعي والجغرافي الذي ينتمي إليه. فالعلاقات الاجتماعية، بحسب هذا المنظور، تتأثر بدرجة كبيرة بخصائص المجال الذي يقطنه أفراده، سواء تعلق الأمر بموقع المدينة، أو بنيتها المكانية، أو الموارد المتاحة فيها.

رابعا : في إطار استكمال تصوره، يرى **روبرت بارك** أن ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة تمثل مسارا تاريخيا دائما نحو التحضر والتمدن، فهي عملية مستمرة لا تتوقف. غير أن هذه الظاهرة تتحول إلى **مشكلة اجتماعية** حين ينظر إلى حلها من زاوية الإدماج الحضري، أي ما يسميه **بارك** بعملية الانصهار. وتحدث هذه العملية عندما يسعى الفلاح المهاجر إلى الاندماج ضمن الوسط الإيكولوجي الحضري، غير أنه يصطدم بتباين ثقافي عميق: فالثقافة الريفية التي يحملها، القائمة على الأعراف والتقاليد المحافظة والجامدة، تختلف جوهريا عن الثقافة الحضرية التي تميز المدينة، والتي تقوم على الفردانية، الاستقلالية، وروح التقدم.

خامسا: يتجلى فضل **روبرت بارك** في تطوير علم الاجتماع الحضري أساسا في اعتماده الأسلوب الكتابي البسيط في تفسير القوانين والنظريات الحضرية الاجتماعية، مما جعل أفكاره أكثر قربا وسهولة للفهم. وما يميز دراسته للظواهر الحضرية هو التركيز البارز على البعد الإيكولوجي في تحليله لمختلف المدن، إذ اعتبر المدينة مجالا خصبا ومختبرا اجتماعيا مهما لفهم ديناميات المجتمعات المحلية.

من خلال هذا العرض النظري لمجموعة من التصورات الكلاسيكية والمعاصرة حول المدينة، يتضح أن الظاهرة الحضرية لم تكن مجرد فضاء مادي أو جغرافي، بل شكلت موضوعا محوريا لعلم الاجتماع بوصفها نسقا معقدا من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وقد تراوحت المقاربات بين من ركز على بعدها الثوري والتحولي (**لويس ممفرد، كارل ماركس**)، ومن أبرز بعدها الوظيفي والتضامني (**إيميل دوركايم، ماكس فيبر**)، ومن سلط الضوء على أبعادها النفسية والرمزية (**جورج زيمل، لويس ويرث**)، وصولا إلى المقاربة الإيكولوجية التي صاغها **روبرت بارك** باعتبار المدينة مختبرا حيا للتفاعلات الاجتماعية.

إن هذا الإطار النظري، الذي يعكس أفق التفكير السوسيولوجي الحضري، لا يقف عند حدود التأسيس المفاهيمي فحسب، بل يفتح المجال أمام مقاربة أعمق للمدينة بوصفها فضاءا للفعل الاجتماعي، وجسرا ضروريا لفهم المشكلات الاجتماعية التي يفرزها التمدن في الجزائر، فضلا عن النظر في أهمية الفضاءات العامة كآلية لإعادة تنظيم التفاعل الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي.

ثانيا : السوسيولوجيا الحضرية: المدينة كإطار للتحليل:

تعد المدينة اليوم أكثر من مجرد فضاء عمراني أو تجمع سكاني، فهي **مخبر اجتماعي مفتوح**، ومجال تتقاطع فيه أنماط الحياة ورهانات السلطة، وتفاعلات الثقافة، وتناقضات الاقتصاد. وإذا كان الفكر السوسيولوجي الكلاسيكي قد انشغل في بداياته بالظواهر الريفية والعلاقات التقليدية، فإن تحولات الحداثة فرضت على الباحث أن ينقل بؤرة اهتمامه نحو **العالم الحضري**، حيث تصنع يوميا أشكال جديدة من الاجتماع الإنساني.

من هنا يصبح التفكير في **السوسيولوجيا الحضرية** ليس مجرد دراسة لظاهرة حضرية محدودة، بل هو أفق لإعادة صياغة الأسئلة السوسيولوجية ذاتها: كيف نفهم العلاقة بين الفرد والمجتمع داخل المدينة؟ كيف نقرأ جدلية الريفي والحضري؟ وكيف نعيد بناء المعنى في ظل تعقد المنهج وتداخل الأبعاد الاقتصادية، السياسية، الثقافية والرمزية؟

بهذا المعنى، سنحاول في هذا الجزء الوقوف عند جملة من المحاور التي تكشف لنا عن **تعددية المدينة**، بما هي موضوع للسوسيولوجيا، ومجال حي لممارستها، ومختبر معرفي لاختبار أدواتها النظرية والمنهجية. فالمدينة ليست مجرد فضاء جغرافي، بل هي سيرورة اجتماعية وتاريخية تتقاطع فيها أنماط الحياة، وتصاغ فيها علاقات القوة، وتعاد فيها صياغة المعنى. ومن هنا، سنعرض جملة من المحاور التي تمكن من الإحاطة بجوانبها المختلفة:

1- المدينة كموضوع سوسيولوجي : (من التمثلات الفكرية العامة إلى تأسيسها كنسق تحليلي مستقل بأدوات إبستيمولوجية ومنهجية خاصة) :

لم تكن المدينة يوما موضوعا مستحدثا في الوعي البشري، بل شكلت منذ البدايات الأولى للحضارة الإنسانية مجالا خصبا للتفكير والتنظيم الاجتماعي، ومسرحا لتطور العلاقات والرموز والثقافات. غير أن التفكير السوسيولوجي الحديث هو الذي منحها أدوات إبستيمولوجية لتحليلها بوصفها **نسقا اجتماعيا مركبا**، يتجاوز بعدها المادي إلى فهم ديناميتها الرمزية والثقافية. فمنذ انتقال الإنسان من واقعة الترحال إلى واقعة الاستقرار، شكل العمران الحضري مصدر قلق وتوتر، إذ مثل انتقالا جذريا في أنماط العيش والتنظيم الاجتماعي. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى علم يدرس الاجتماع الحضري وظاهرة التحضر، أي إلى **السوسيولوجيا الحضرية**، لا من زاوية **الوصف الظاهري للمكان والظواهر** فقط، بل من منظور **تحليلي يسعى إلى تفكيك البنيات والأنساق والمؤسسات داخل المجال المديني.**

إن التفكير في **المدينة كموضوع سوسيولوجي** يتطلب استحضار ما أشار إليه **دوركايم** حين اعتبر أن "لا سوسيولوجيا إلا بالمقارنة"، فالمجال الحضري لا يفهم إلا من خلال مقارنته بالمجال القروي، حيث تبرز أشكال تضامن مختلفة وتمايز في التنظيم الاجتماعي. كما أن **زيميل** نبهنا مبكرا إلى أن المدينة تفرض على الأفراد أنماطا جديدة من التفاعل و"عقلية متحفظة وبرودا انفعاليا" (زكريا، 1981، صفحة 212) بفعل فيض المؤثرات، وهو ما يجعلها مختبرا لتغير الذهنيات. أما **روبرت بارك** فقد صاغ تعبيره الشهير: "المدينة ليست مجرد تجمع من الطوب والحجارة، بل هي طريقة للحياة" لتأكيد أن موضوع المدينة لا يختزل في عمرانها، بل يتجلى في أنماط العيش التي تنتجها.

وبهذا المعنى، يمكن القول إن المدينة تمثل **موضوعا سوسيولوجيا مركزيا**، لأنها تجمع بين ما هو مادي وما هو رمزي، بين البنيات الصلبة للمجال والعلاقات المرنة للتفاعل. فهي ليست فقط مكانا للسكن، بل مجالا لإعادة إنتاج التنظيمات والمؤسسات والقيم، ولتجريب المفاهيم الكبرى في السوسيولوجيا: من التضامن إلى السلطة، ومن الصراع إلى الهوية. وهنا تتجلى **المدينة كموضوع مفتوح للتفكير السوسيولوجي**، يظل يطرح باستمرار أسئلة تتجاوز الظاهر إلى اللامفكر فيه.

2- المدينة كمخبر للبحث : (المدينة كفضاء ابستيمولوجي وإمبريقي للتحليل السوسيولوجي):

إن مهمة السوسيولوجي في دراسة المدينة لا تقتصر على وصف الوقائع الظاهرة، بل تتطلب التمدد نحو "اللامفكر فيه"، أي إلى الأبعاد الرمزية والخفية التي تنتجها الحياة الحضرية. فالمدينة ليست مجرد وجود مادي (existence) ، بل هي كذلك سيرورة وصيرورة (processus et devenir) ، تعيد إنتاج ذاتها (حضريتها) باستمرار. ولهذا اعتبر **روبرت بارك** أن المدينة "مختبر للتجربة الإنسانية"، حيث يتجسد فيها أشكال التفاعل والصراع والاندماج في أوضح صورها. كما رأى **لويس ويرث** أن الكثافة السكانية والتنوع الاجتماعي يحولان المدينة إلى **حقل تجريبي** لدراسة أنماط العيش الجديدة، بينما نبه **جورج زيميل** إلى أن فيض المؤثرات الحضرية يولد لدى الأفراد ما سماه الموقف المتبلد (l'attitude blasée)،

أي نوعا من اللامبالاة الذهنية بوصفها آلية للتكيف مع ضغط الحياة في المتروبول. ما يكشف عن التحولات النفسية الدقيقة التي لا تدرك إلا عبر التحليل السوسيولوجي العميق.

فإن المدينة يمكن أن تتحول إلى **مخبر حي للبحث السوسيولوجي**، شريطة أن نتجاوز **التفكير الانطباعي** إلى مقاربة علمية متدرجة: من **الوصف إلى التحليل**، ومن **الفهم إلى التفسير**، ثم إلى **التأويل فاستشراف المستقبل**، بما يسمح ببناء معرفة تراكمية حول التحولات الحضرية في بعدها الاجتماعي والثقافي.

3- بين الريفي والحضري: جدلية الإنتماء والبراديغم (مقاربة المدينة من داخل تجربتها المعيشة ومن موقعها في النسق الأوسع الذي يربطها بالفضاء الريفي، لفهم كيف تتحدد العلاقة الجدلية بين الريف والحضر في بناء الهوية والإنتماء):

وإذا كانت القاعدة عند **دوركايم** أن "لا سوسيولوجيا إلا بالمقارنة"، فإن فهم المجال الحضري يقتضي دوما وضعه في جدل مع المجال الريفي. فالمدينة ليست مجرد استمرار للريف في شكل آخر، بل هي **تنظيم اجتماعي جديد** ببنياته ومؤسساته ومراتبه الخاصة، يعاد من خلاله إنتاج **الفوارق الطبقية والمجالية**. ففي الوقت الذي يشهد فيه **المركز الحضري** استقطابا للسلطة والموارد، نلاحظ اليوم نزوح الفئات الميسورة إلى الضواحي بحثا عن فارقية اجتماعية، في مقابل دفع محدودي الدخل إلى هوامش المدينة في إطار ما يسميه علماء الاجتماع **"الاستبعاد المجالي"**. هذه التحولات تكشف أن للمدينة سندا اقتصاديا وإيديولوجيا خفيا لا يظهر في **التخطيطات العمرانية الرسمية**. إذ يتمثل هذا السند في منطق السوق الرأسمالي الذي يوجه الإنتاج المكاني وفق مصالح الفئات المهيمنة، وفي التصورات الأيديولوجية التي تعيد تشكيل المجال بما يخدم قيم الاستهلاك والتمايز الاجتماعي. هذا التحليل يكتسب عمقه من كونه يربط بين المنظور البنيوي عند **هنري لوفيفر**، الذي يرى الفضاء منتجا اجتماعيا يحمل بصمات علاقات القوة والهيمنة، والمنظور الثقافي-الذهني عند **جورج زيميل**، الذي ركز على التحولات في أنماط العيش والإدراك داخل المدينة الحديثة. ومن خلال هذا الربط، تفهم الحياة الحضرية بوصفها ظاهرة مركبة يتفاعل فيها الاقتصادي مع الرمزي، والمادي مع الذهني، في إعادة إنتاج مستمرة لبنية المجتمع الحضري.

4- التاريخ والذاكرة الحضرية : جدلية المعنى والهوية (لا سوسيولوجيا حضرية دون استحضار البعد التاريخي، إذ لا تفهم المدينة بمعزل عن طبقاتها الزمنية التي تتجسد في أحيائها، معالمها، وتسمياتها. فكل مدينة هي نص تاريخي مفتوح تنتج من خلاله الجماعات معانيها وتعيد بناء هوياتها عبر الذاكرة الحضرية):

إن **قراءة المدينة** لا يمكن أن تنفصل عن **تاريخها**؛ فكما نبه إلى ذلك **إيميل دوركايم** "لا سوسيولوجيا بدون تاريخ، ولا تاريخ بدون سوسيولوجيا". **فالأحياء الشعبية** مثلا ليست مجرد **وحدات عمرانية**، بل هي خزانات **للذاكرة وللمخيال الجماعي**، بالمعنى الذي تحدث عنه **موريس هالبواكس** حين

اعتبر الذاكرة الجمعية متجذرة في الفضاءات الاجتماعية ولا تنفصل عنها، إذ تحتفظ المدينة بآثار الماضي داخل عمرانها وفضاءاتها. فالأحياء الحضرية، في هذا السياق، لا تقتصر عن كونها وحدات عمرانية، بل تنتج **تسميات وانتقامات رمزية** تعبر عن غضب اجتماعي أو عن توازنات قوى خفية، سواء كانت **اجتماعية أو اقتصادية**. هنا يبرز دور السوسيولوجي في **تحليل المؤشرات الرمزية والتجليات الاجتماعية** التي تحملها هذه الأحياء عبر أسمائها، وشبكات التضامن التي تعيد إنتاجها، وأنماط التفاعل التي تميزها. وهو ما يتقاطع مع طرح **بيير بورديو** حول **العنف الرمزي** وارتباطه بالفضاء، حيث اعتبر الفضاء العمراني ليس محايدا، بل يعاد تشكيله بطريقة تكرس الهيمنة الاجتماعية وتعيد إنتاج الفوارق من خلال تقسيماته، رموزه، وأنماط استعماله. هنا تتجلى أيضا مساهمة **هنري لوفيفر** الذي رأى أن الفضاء الحضري ليست مجرد معطى مادي، بل هو قبل كل شيء **فضاء اجتماعي** مشحون بالدلالات والصراعات ويعاد إنتاجه يوميا عبر الممارسات والتمثلات.

من هذا المنظور، تغدو دراسة المدينة تحليلا لتاريخها المتجسد في عمرانها، ولمخيالها الجمعي المتجدد عبر الأجيال، بما يعكس تفاعل البنى المادية مع الرموز الثقافية والتمثلات الاجتماعية للفضاء.

5- أزمة المعنى والمنهج في السوسيولوجيا الحضرية : (من الوصف إلى التحليل، ومن الفهم إلى التأويل والاستشراف)

أزمة المدينة اليوم ليست فقط أزمة عمران أو تنظيم، بل هي أزمة معنى ومنهج. لقد صاغ **ابن خلدون** تصوره الدائري للعمران (النشأة، القوة، الازدهار، تم الضعف والزوال)، باعتباره ظاهرة تخضع لمسار تاريخي متكرر (من النشأة إلى الزوال)، **مبرزا أن العمران لا يسير وفق خط تصاعدي مستقيم، بل هو عملية دورية** تحكمه عوامل داخلية مرتبطة بالبنية الاجتماعية والثقافية (كالترف، ضعف العصبية، فساد الأخلاق)، وأخرى خارجية ترتبط بالظروف السياسية والاقتصادية (كالحروب، الغزو، الكوارث)، تحدد مساره ومصيره. غير أن **السوسيولوجيا الحضرية الحديثة تكشف عن ضرورة تجاوز هذا المنطق الدوري إلى مداخل إبستيمولوجية جديدة**، قادرة على استيعاب العمق الرمزي والثقافي للمدينة بما يتجاوز النظرة الخطية أو الدائرية للتاريخ. وفي هذا الإطار، يشير **مانويل كاستلز** إلى أن "المدينة المعاصرة لم تعد تفهم فقط كحيز جغرافي بل **كفضاء تدفقات** (espace des flux)، حيث تتقاطع الشبكات الاقتصادية والاتصالية وتعيد تشكيل أنماط العيش والانتماء في زمن العولمة (Castells, 2010)"، وهكذا تصبح المدينة المعاصرة فضاءا ديناميكيا يتشكل بفعل هذه التدفقات المتداخلة، ما يجعل فهم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيها مرهونا بتحليل شبكاتها المختلفة وتفاعلاتها المعقدة.

وفي هذا السياق، قدم **جورج زيمل** قراءة مغايرة تركز على البعد النفسي-الثقافي، حيث يرى أن كثافة المثيرات الحسية في المجال الحضري تولد لدى الأفراد عقلية متحفظة ومتبلدة وجدانيا، بما يعكس تحولات دقيقة في الوعي والوجدان تنشأ من أنماط الحياة الحضرية المتسارعة. أما **هنري لوفيفر**، فقد

نقل النقاش إلى بعد ثالث حين شدد على أن الفضاء الحضري ليس مجرد إطار مادي محايد، بل هو فضاء اجتماعي يعاد إنتاجه يوميا عبر الممارسات والتمثلات التي تترجم علاقات القوة والرموز والمعاني المتداخلة. ومن جهته، يضيف **بيير بورديو** بعدا آخر حين يرى أن الفضاء ليس بريئا، بل هو مجال يمارس فيه العنف الرمزي عبر أنماط التوزيع المجالي التي تخفي علاقات الهيمنة الطبقية وتعيد إنتاجها بصورة غير مباشرة.

وهذا البعد الرمزي يتجلى أيضا في **الثنائيات الاجتماعية الدقيقة**)غرايبة : " 2023 ,الأحد 12:32 11-6(10 .p , - التي تعيد صياغة الانتماءات في الفضاء الحضري: "ولد لبلاد" الذي يجسد الشرعية الأصلية، و"البراني" الذي ينظر إليه كغريب، و"الوافد من العروبية" الذي يحمل دلالة على التهميش أو الدونية. هذه الثنائيات ليست مجرد أوصاف، بل هي آليات لإنتاج التمايز الاجتماعي داخل المدينة.

إننا، من هذا الأفق الفكري، أمام خمس مقاربات متكاملة: **ابن خلدون** يكشف عن الدورية التاريخية للعمران، **جورج زيمل** يضيء أثر الحياة الحضرية على النفس والوجدان، **هنري لوفيفر** يبرز البعد الاجتماعي والرمزي للفضاء، **بييربورديو** يحلل آليات العنف الرمزي في التوزيع المجالي، و**ايمانويل كاستلز** يعيد تعريف المدينة كفضاء شبكي تتجاوز حدوده المادية. اننا من هذا الإطار التحليلي نستدعي **مقاربة سوسيولوجية متعددة المستويات**، تستند في الوقت نفسه إلى **مقاربات ابستيمولوجية حديثة**، تنطلق من الوصف لتنتقل إلى التحليل والفهم والتفسير، وصولا إلى التأويل واستشراف آفاق التحضر المستقبلية، بما يتيح قراءة المدينة باعتبارها نسقا متغيرا ومعقدا يجمع بين المادي والرمزي، التاريخي واليومي، النفسي والاجتماعي.

6- المدينة كمجال متعدد الأبعاد: (الحاجة إلى مقاربة تكاملية سوسيولوجية – أنثروبولوجية – جغرافية – اقتصادية، تكشف تشابك البنيات المادية والرمزية للمجال الحضري):

فالمدينة بهذا المعنى ليست مجرد وحدة إدارية أو إحصائية، بل هي مجال اجتماعي مركب، يتقاطع فيه الاقتصادي بالسياسي، والاجتماعي بالثقافي، والتاريخي بالرمزي. وهو ما يذكر بما قاله **لويس ويرث** (1938) بأن المدينة ليست مجرد تجمع سكاني، بل هي أسلوب حياة، وبما أبرزه **هنري لوفيفر** (1970) حين اعتبر أن "المدينة فضاء ينتج اجتماعيا، حيث تتداخل البنيات المادية مع الرموز والمعاني (اليحياوي، 2010، صفحة 15)" وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه التفاعلات المتشابكة بين البنية المادية والرمزية تشكل العمق الاجتماعي والثقافي للمدينة، وتبرز أهميتها كمجال مركب لفهم التحولات الحضرية المعاصرة.

ومن ثم، فإن السوسيولوجيا الحضرية لا يمكن أن **تنحصر** في أفقها الخاص، بل هي **مطالبة** بالانفتاح على الجغرافيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد والتاريخ والعلوم السياسية. فهي علم **تداخلي** "تقاطعي" بامتياز، مهمته إنتاج المعنى، وإعادة بناء العلاقة بين المحلي في أبعاده الرمزية والتاريخية وبين التحولات الكبرى التي تفرضها العولمة. وهذا ما أكد عليه **مانويل كاستلز** في تحليله لـ "مسألة المدينة"

حين اعتبر أن فهم التحولات الحضرية يقتضي الربط بين البنى المادية للمدينة والعلاقات الاجتماعية وشبكات السلطة التي تعيد تشكيلها.

يتضح من خلال استعراض الإسهامات الكلاسيكية والمعاصرة في **السوسيولوجيا الحضرية** أن المدينة ليست مجرد إطار مكاني أو وحدة إدارية، بل هي **إطار للتحليل وأفق في التفكير**، مجال يختزن التفاعلات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ويشكل مختبرا لفهم التحولات المجتمعية الكبرى. فالمقاربات النظرية، من **دوركايم** إلى **هابرماس**، مرورا ب**بارك** و**زيمل** و**لوفيفر**، تبرز أن تحليل المدينة يقتضي تجاوز البعد الوصفي نحو التحليل والتفسير والتأويل، بما يسمح بفهم آليات إنتاج الفضاء الحضري، ورصد دينامياته، واستشراف آفاقه المستقبلية في ظل التحديات الراهنة التي تفرضها العولمة والتحولات السوسيومجالية.

من هذا المنطلق، تتضح الحاجة إلى دراسة المشكلات الاجتماعية المعاصرة التي يفرزها التمدن في المدن الجزائرية، لفهم كيفية تأثير التحولات الحضرية على النسيج الاجتماعي، وتحديد آليات مواجهة الأزمات المرتبطة بالتحضر.

ثالثا: المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالتمدن في الجزائر:

بعد استعراض الأسس النظرية التي قدمها رواد السوسيولوجيا الكلاسيكية والمعاصرة في مقاربتهم للمدينة، وإبرازها كإطار للتفكير ومخبر للتحليل السوسيولوجي، يبرز رهان هذا المقال في ربط **البعد النظري–المفاهيمي بالتحليل السوسيولوجي للواقع**. فالمسألة الحضرية في الجزائر تعكس بوضوح جدلية النظرية والواقع، إذ لا يمكن فهم ديناميات المدينة بمعزل عن المشكلات الاجتماعية الملموسة المرتبطة بمسارات التمدن.

يهدف هذا المحور إلى **تحليل بعض المشكلات الاجتماعية البنيوية التي تعرفها المدن الجزائرية**، بما فيها أزمة السكن والهشاشة الحضرية، البطالة والفقر الحضري، الجريمة والتحولات القيمية، وضعف البنى التحتية والخدمات، وذلك من خلال **توظيف مفاهيم ونظريات السوسيولوجيا الحضرية الكلاسيكية والمعاصرة** في قراءة الواقع المحلي. بهذا المعنى، يبرز التحليل كيف تسهم النظرية في تفكيك وفهم **النسق البنيوي والرمزي للمجال الحضري الجزائري**، وكيف يتيح الواقع المحلي اختبار صلاحية هذه المفاهيم، ومساءلة الفرضيات السوسيولوجية حول التمدن والعلاقات الاجتماعية في الفضاء الحضري.

تسعى هذه المعالجة إلى **إعادة بناء فهم المدينة كنسق متداخل بين البنية المادية والرمزية، بين التاريخ واليومي، وبين الاقتصاد والثقافة**، مع إبراز أثر هذه الأزمات في **إعادة إنتاج الفوارق الاجتماعية وتشكيل التماسك المجتمعي**.

وتتجلى هذه الأزمات الاجتماعية الحضرية في المدن الجزائرية من خلال مجموعة من الظواهر البنيوية، أهمها:

1- أزمة السكن والهشاشة الحضرية:

شهدت المدن الجزائرية، منذ سبعينيات القرن الماضي، ضغطا عمرانيا متزايدا نتيجة الهجرات الريفية الكثيفة، خصوصا نحو المدن الكبرى كالعاصمة، وهران، قسنطينة وعنابة. وتشير إحصاءات البنك الدولي إلى أن عدد السكان المقيمين في المناطق الحضرية بلغ سنة 2024 نحو **35460902 نسمة** (الدولي، 2019، صفحة 17)، ما يعكس تسارع وتيرة التحضر وما قد يصاحبه من **ضغوط سكنية وتحديات حضرية متنامية**.

غير أن السياسات العمومية التي اعتمدت في مراحل سابقة على السكن الاجتماعي بوصفه **استجابة كمية أكثر منها نوعية،** لم تتمكن دائما من تلبية الطلب المتزايد، ما ساهم في بروز أنماط من "العمران الهش"، مثل **الأحياء القصديرية، السكنات الفوضوية، وحتى التوسع العمراني غير المراقب** في أطراف المدن الكبرى.

هذا الواقع يمكن قراءته في ضوء ما طرحه **لويس ويرث (Louis Wirth)** في مفهومه"المدينة كطريقة للحياة"، حيث يؤدي التضخم العمراني إلى أنماط من **العزلة الفردية والتباعد الاجتماعي،** بدل أشكال التضامن التقليدي التي تميز الأوساط الريفية. وفي هذا السياق، يمكن استحضار بعض الأحياء الشعبية مثل **"باب الواد" بالجزائر العاصمة** أو **"حي بلاطو" في وهران،** حيث يختلط الطابع الشعبي بالعمران غير المنظم، بما ينتج **فضاءات اجتماعية هشة** قد تعمق هشاشة الوضع الاجتماعي للسكان.

2- البطالة والفقر الحضري:

من المفترض أن تكون المدينة فضاءا للفرص الاقتصادية بفعل تركز الأنشطة الصناعية والخدماتية، غير أن الواقع الحضري في الجزائر يكشف مفارقة بنيوية، إذ ما تزال بعض المدن الكبرى، وعلى رأسها العاصمة، تواجه صعوبات في الحد من البطالة واستيعاب اليد العاملة الجديدة. وتشير بيانات البنك الدولي لسنة 2024 إلى أن **معدل البطالة الوطني بلغ نحو 12.7%** (الدولي،، 2025، صفحة 22)مع تسجيل نسب مرتفعة بين فئة الشباب الجامعي، وهو ما يعكس محدودية قدرة السوق الحضرية عن استيعاب الكفاءات الجديدة.

في هذا السياق، تتجلى البطالة المقنعة في توسع الاقتصاد غير الرسمي، من خلال أنشطة مثل التجارة المتنقلة أو الأعمال الظرفية وغير المنظمة، ما يظهر **هشاشة بعض البنى الاقتصادية الحضرية** ويفضي إلى تشكل فئات اجتماعية ذات **مرونة اقتصادية هشة** تعتمد على موارد غير مستقرة. يمكن تفسير هذا الوضع في ضوء مقاربة **فرديناند تونيس (Tönnies)** لمفهومي **الجماعة (Gemeinschaft) والمجتمع (Gesellschaft)**، حيث لم ينجح الانتقال من الجماعة التقليدية (الريف) إلى المجتمع الحضري الحديث في إنتاج علاقات اجتماعية عقلانية متوازنة، بل أفرز أحيانا أشكالا من **الإقصاء الاجتماعي والفقر البنيوي**. كما يمكن استحضار رؤية **مانويل كاستلز (Manuel Castells)** الذي يؤكد أن المدينة الحديثة، بدل أن تكون أداة للاندماج الاجتماعي، قد تتحول إلى فضاء لإعادة إنتاج

اللامساواة والتفاوتات الطبقية، وهو ما يمكن ملاحظته في بعض الأحياء مثل "سيدي موسى" أو "الحراش"، التي تشير بعض المؤشرات الاجتماعية إلى أنها تعرف تحديات مرتبطة بالبطالة الشبابية وباقتصاد غير مستقر، بما قد يكرس أشكالا من الهامشية الاجتماعية بدل تجاوزها.

3- الجريمة والتحولات القيمية

تشير بعض المعطيات الأمنية والتقارير الدورية المتاحة، إلى تزايد بعض أشكال الجريمة والانحراف في عدد من المدن الجزائرية، خاصة ما يرتبط بالعنف الحضري وبعض الجرائم المرتبطة بالمخدرات والسرقة والتخريب.

يمكن تفسير هذا الواقع في ضوء ما حذر منه إميل **دوركايم** في تحليله لظاهرة "الأنومي" (فقدان المعايير)، حيث قد يؤدي ضعف الضبط الاجتماعي، واتساع الفوارق الطبقية، إلى خلخلة النسق القيمي وظهور سلوكيات منحرفة تهدد التماسك الاجتماعي. من جهة أخرى، يمكن استحضار "نظرية الضغط "(Strain Theory) عند **روبرت ميرتون** التي تفسر الانحراف كنتيجة للفجوة بين الطموحات التي تخلقها الثقافة المادية (النجاح المادي والاستهلاكي) وغياب الوسائل الشرعية لتحقيقها، مما قد يدفع بعض الأفراد إلى سلوك طرق غير قانونية.

ويتجلى ذلك في بعض الأحياء الحضرية الهشة مثل "برج الكيفان" بالعاصمة أو "حي سانت أنطوان" بوهران، حيث تتقاطع البطالة والفقر والتهميش الحضري لتنتج مظاهر من العنف الحضري والانحراف الاجتماعي، في سياق ضعف الاندماج الاجتماعي و"الفقر الحضري متعدد الأبعاد" (الدولي ا.، 2024، صفحة 26) في المدن النامية. ويبرز هذا الواقع كيف أن التحولات القيمية داخل المدينة الجزائرية لم ترافقها دائما منظومات فعالة للضبط الاجتماعي أو سياسات إدماج حضري واقتصادي، مما جعل الفضاء الحضري مجالا لإعادة إنتاج الفوارق والتوترات الاجتماعية بدل أن يكون فضاء للاندماج وتكافؤ الفرص.

4- ضعف البنية التحتية والخدمات

تواجه عدة مدن جزائرية تحديات مرتبطة بالمرافق العمومية والبنى التحتية، حيث لا يواكب النقل الحضري أحيانا النمو السكاني السريع، وهوما يفسر الازدحام الذي تعرفه بعض المدن الكبرى، إلى جانب محدودية النقل العمومي في مدن أخرى ، كما يلاحظ ضغط على بعض المرافق الصحية، خاصة على مستوى مصالح الاستعجالات في بعض المدن، إضافة إلى نقص نسبي في المساحات الخضراء وفضاءات الترفيه، وهو ما أشارت إليه بعض التقارير الوطنية والدولية ذات الصلة بالتنمية الحضرية . هذا الواقع يتقاطع مع ما طرحه **هنري لوفيفر (Henri Lefebvre)** في كتابه "إنتاج الفضاء"، (la production de l'espace,1974) حيث اعتبر أن الفضاء الحضري لا ينتج دائما وفق منطق العدالة المكانية، بل قد يخضع لعلاقات السلطة والهيمنة الاقتصادية. وفي الحالة الجزائرية، يمكن القول إن إنتاج المدينة تم في بعض الحالات على أسس بيروقراطية واقتصادية، أكثر منها اجتماعية وإنسانية،

مما أدى إلى تفاوتات بين أحياء مهيكلة ، وأخرى هامشية تفتقر إلى بعض الخدمات الأساسية، كما يظهر ذلك في بعض الأحياء السكنية في ضواحي المدن الكبرى.

كما يمكن استحضار **يورغن هابرماس (Jürgen Habermas)** في مفهومه عن "الفضاء العمومي"، حيث يفترض أن تكون المدينة مجال للحوار والتفاعل المدني الحر، غير أن ضعف البنية التحتية وندرة بعض الفضاءات العمومية الحيوية في السياق الحضري الجزائري، قد يحدان من المشاركة الفعالة للمواطنين في الحياة الحضرية.

إن هذا الوضع يعكس ما يعرف في علم الاجتماعي الحضري "**بالإقصاء الحضري**" (exclusion urbaine)، أي تهميش فئات واسعة من السكان داخل فضاء المدينة ذاته، نتيجة ضعف العدالة المكانية وغياب **"المرونة الحضرية"** التي تسمح بتكافؤ الفرص في الاستفادة من الخدمات والموارد. إن استعراض أبرز الأزمات التي تعرفها المدن الجزائرية – من أزمة السكن والهشاشة الحضرية، إلى البطالة والفقر الحضري، مرورا بتفاقم بعض أشكال الجريمة والتحولات القيمية، وصولا إلى تحديات البنية التحتية والخدمات – يكشف أن التمدن الجزائري ما يزال يواجه اختلالات بنيوية مرتبطة بسرعة التحضر ومتطلبات التخطيط الحضري.

وهذا ما يجعل المقاربة السوسيولوجية ضرورية لفهم الواقع الحضري الجزائري، إذ تظهر هذه القراءة أن كثيرا مما صاغه الكلاسيكيون من مفاهيم مثل (التضامن العضوي و الأنومي عند دوركايم، المدينة كطريقة للحياة عند ويرث، أو التحليل المادي التاريخي عند ماركس...) ما يزال صالحا لتحليل تحديات التمدن الراهنة. فالمجتمع الجزائري يعيش في مدنه حالة **"ازدواجية حضرية"** تجمع بين ملامح الانتقال نحو الحداثة، وبقايا أنماط تقليدية غير قادرة على التكيف.

وبذلك، فإن **الأنساق الحضرية في الجزائر تعكس إشكالية التمدن بين النمو الكمي غير المتوازن والحاجة إلى نموذج نوعي أكثر استدامة**، وهو ما يجعل النظرية السوسيولوجية أداة لفهم هذا الواقع، وكشف حدود السياسات العمرانية التي لم تستطع تحويل المدينة إلى فضاء يضمن العدالة المكانية والتماسك الاجتماعي.

ومن تم فإن تجاوز هذه الإشكالية يقتضي إعادة بناء السياسات الحضرية على أسس تشاركية ومستدامة، تعيد للمدينة دورها كفضاء للعيش المشترك والإبداع الاجتماعي.

من هنا تكتسي الفضاءات العامة في المدن الجزائرية أهمية خاصة، بوصفها مجالا لتنظيم التفاعل الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي، وإعادة إنتاج أشكال جديدة من التضامن العضوي.

رابعا: أهمية الفضاءات العامة في المدن الجزائرية : تنظيم التفاعل الاجتماعي، تعزيز التماسك المجتمعي وإعادة إنتاج التضامن الاجتماعي

بعد استعراض الأسس النظرية التي صاغها الرواد الكلاسيكيون والمعاصرون في تحليل المدينة، والوقوف على الأزمات البنيوية التي أفرزها التمدن في السياق الجزائري، يبرز بوضوح أن فهم الأنساق

الحضرية لا يكتمل في السياق الحضري المعاصر دون التوقف عند **الفضاءات العامة**، بوصفها **مجالا يكشف طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المدينة، ومؤشرا دالا على جدلية العلاقة بين النظرية والواقع**. فإذا كانت المدينة –وفق **روبرت بارك**– محاولة الإنسان لإعادة تشكيل العالم وفق حاجاته، فإن الفضاء العمومي هو الامتحان الفعلي لهذه المحاولة: هل تتحول المدينة إلى إطار لإعادة إنتاج التباعد والتهميش، أم إلى فضاء لإرساء التفاعل الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي؟

إن هذا المحور يهدف إلى إبراز أهمية الفضاءات العامة في المدن الجزائرية بوصفها **بنية مادية ورمزية** في آن واحد؛ فهي ليست مجرد حيز عمراني، بل نسق حضري يتقاطع فيه الاقتصادي بالاجتماعي، والسياسي بالثقافي، ليكشف عن طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، وعن قدرة المدينة على إنتاج التضامن والديمقراطية أو إعادة إنتاج الإقصاء والهشاشة. ومن ثم، فإن هذا الجزء يندرج في قلب عنوان المقال، إذ يظهر كيف تجسد الفضاءات العامة البعد التطبيقي لمفهوم **الأنساق الحضرية**، وكيف تتحول إلى مرآة لمشكلة التمدن في المدن الجزائرية من زاويتين متكاملتين :**سوسيولوجيا الحياة اليومية وسوسيولوجيا السلطة والمجال**.

1- الفضاء العام كتجسيد للتفاعلات الاجتماعية

يؤكد **جورج زيمل** أن الحياة الحضرية تقوم على **كثافة التفاعلات وتشابكها**، حيث يصبح الفضاء العام (الشوارع، الساحات، المقاهي، الأسواق) نقطة التقاء يومية تعيد صياغة العلاقات الاجتماعية.

في الجزائر، يظهر ذلك في **ساحة البريد المركزي بالجزائر العاصمة** أو **ساحة أول نوفمبر في وهران**، حيث لا تقتصر الوظيفة على المرور والتنقل، بل تتحول الساحات إلى فضاء للتعبير الثقافي والاحتجاجي وحتى الترفيهي.

مثلما أظهر **زيمل**، فإن **احتكاك الغرباء** في الفضاء الحضري ينتج أشكالا جديدة من العلاقات القائمة على التفاوض اللحظي (الخطابي، 2012، الصفحات 73-74)، وهو ما يلاحظ في الأسواق الشعبية (كسوق باب الوادي وسوق باش جراح والحميز بالعاصمة أو سوق بوقاعة وسوق العلمة بولاية سطيف) حيث يلتقي أفراد من أصول ومناطق مختلفة في إطار تبادلي يومي.

وتبرز هذه اللقاءات اليومية كيف يشكل الفضاء العام إطارا لإعادة إنتاج أشكال التماسك الاجتماعي الجزئي، إذ يضطر الأفراد للتفاوض والتكيف مع الآخرين في سياق تعايش حضري متعدد الأصول والمناطق، مما ينتج أشكالا من التماسك الاجتماعي القائم على التفاعل اليومي والضبط غير الرسمي للعلاقات.

2- إعادة إنتاج التضامن الاجتماعي

يرى **إميل دوركايم** أن الانتقال من التضامن الميكانيكي (القائم على القرابة والانتماء القبلي) إلى التضامن العضوي (القائم على التخصص والتبادل الاجتماعي) يعد سمة أساسية في تطور المجتمع الحديث. في المدن الجزائرية، يمكن

للفضاءات العامة أن تعوض هشاشة الروابط التقليدية عبر إنتاج أشكال جديدة من التضامن الاجتماعي. **فالمساجد الجامعة في الأحياء الحضرية الجديدة** (مثل مسجد "السلام" بحي باب الزوار بالعاصمة) تحولت إلى فضاءات للتلاقي والتنظيم الاجتماعي. كما أن **المقاهي الشعبية** في المدن الكبرى مثل قسنطينة وعنابة، لا تقتصر على الوظيفة الترفيهية، بل تساهم أيضا في تعزيز أشكال من التعاون والتكافل الاجتماعي داخل الفضاء الحضري.

غير أن غياب التنظيم الحضري وضعف المرافق العامة قد يضعف هذا الدور في بعض الأحياء المهمشة (مثل الأحياء القصديرية في ضواحي وهران)، حيث يؤدي **التنافس على الموارد المحدودة** إلى تآكل التضامن الاجتماعي، وتفاقم العزلة بين السكان، هذا الواقع يؤكد أن البنية الحضرية غير المتوازنة يمكن أن تعيد إنتاج أشكال من الهشاشة الاجتماعية حتى عند وجود فضاءات عامة.

ومع ذلك، يمكن اعتبار هذه الفضاءات العامة آليات مهمة لإعادة إنتاج أشكال من التضامن العضوي الجزئي، حيث تتشكل شبكات الدعم الاجتماعي والاقتصادي بين السكان تعوض بعض الفراغات التنظيمية الناتجة عن غياب التخطيط والسياسات الحضرية الشاملة. ما يجعل من الفضاء العام أكثر من مجرد مكان للتلاقي الاجتماعي، بل أداة تحليلية لفهم ديناميات التماسك الاجتماعي (**كيف يحافظ المجتمع على ترابط أفراده، وكيف تتشكل شبكات التضامن بينهم، وتستمر في دعم التعاون والانتماء الاجتماعي داخل المجتمع**). هنا تبرز الحاجة إلى إدارة حضرية منظمة تعزز دور هذه الفضاءات كرافد للتماسك الاجتماعي وتساهم في إعادة بناء الأنساق الاجتماعية المترابطة داخل المدينة.

3- الفضاء العام كحق حضري

يطرح **هنري لوفيفر** مفهوم "الحق في المدينة" باعتباره حقا جماعيا ومجتمعيا يتيح للسكان إنتاج واستعمال الفضاء الحضري بما يضمن **العدالة المكانية والمشاركة المدنية واستدامة التماسك الاجتماعي**. في السياق الجزائري، تواجه ممارسة هذا الحق العديدة من العراقيل العملية أبرزها:

- **الهيمنة الرمزية والمادية للمؤسسات الرسمية والباعة المتجولين على الفضاءات العامة** (كما في وسط العاصمة أو وهران)، مما يحد من قدرة السكان على ممارسة حقوقهم في المدينة.
- **ضعف المرافق الثقافية والرياضية، وندرة المساحات الخضراء** في أحياء مثل (برج الكيفان والبليدة)، وهو ما يقلص فرص الاستفادة الجماعية من هذه الفضاءات الحضرية.

وفق **هنري لوفيفر**، فإن **الفضاء الحضري في بعض المدن الجزائرية لم يتشكل دائما وفق منطق المشاركة المجتمعية، بل خضع في أحيان متعددة لإكراهات بيروقراطية واقتصادية**، الأمر الذي يكرس فجوة واضحة بين **المدينة الرسمية (المخططة على الورق) والمدينة المعيشة (حيث يمارس السكان فيها حياتهم اليومية)**. وتبرز هذه الفجوة **إشكالية إنتاج الفضاء العام كأداة للعدالة الاجتماعية وإعادة**

إنتاج شبكات التضامن الاجتماعي، حيث يؤدي ضعف المشاركة المجتمعية والمرافق الحضرية إلى تقييد الحق الجماعي في المدينة وتقويض التماسك الاجتماعي.

إن فهم هذه الديناميات يعكس **ضرورة إعادة التفكير في السياسات العمرانية وتنظيم الفضاء الحضري بطريقة تعزز مشاركة السكان، وتحقق التكامل بين التخطيط الرسمي والمدينة المعيشة، وتعيد إنتاج الأنساق الاجتماعية المترابطة داخل المجتمع الحضري.**

4- الفضاء العمومي كأفق ديمقراطي

يعتبر **يورغن هابرماس** من أبرز المفكرين الذين نظروا **للفضاء العمومي كإطار للحوار العقلاني وتشكيل الرأي العام النقدي.** حيث يفترض أن يكون مجالا يتيح مشاركة المواطنين في الحياة العامة، ومساءلة السلطة، وإنتاج فهم جماعي للقضايا الاجتماعية والسياسية.

في السياق الجزائري، تظهر بعض **ساحات المدن الكبرى** (مثل ساحة البريد المركزي في العاصمة أو ساحة الأمير عبد القادر بقسنطينة) كفضاءات تتخذ **دورا مزدوجا:** فهي ساحات للتعبير السياسي والاحتجاج الشعبي (كما برز خلال الحراك الشعبي سنة 2019)، وفي الوقت نفسه تواجه قيودا مؤسساتية وتنظيمية تحد من إمكاناتها الديموقراطية، مثل ندرة المنتديات الثقافية، وغياب مراكز للنقاش العمومي، ما يحول الفضاء العام إلى **أفقا معطلا** بدل أن يكون ركيزة لإنتاج الرأي العام النقدي.

من منظور **هابرماس،** فإن **إضعاف المشاركة الفعلية للمواطن** في الفضاء العمومي يقلص من قدرة المدينة على إنتاج أشكال فعالة من الديموقراطية المحلية، ويحول بعض فضاءاتها إلى أماكن للعبور أكثر منها مجالات للتفاعل المدني.

فإذا كان التحليل السابق قد أبرز كيف أسهمت **الفضاءات العامة** في **إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والسياسية** في ضوء المقاربات الكلاسيكية والمعاصرة، فإن **خصوصية التجربة الجزائرية** تضفي على هذا الفضاء دلالات وأبعادا إضافية. فالفضاء العام في المدن الجزائرية لا يمكن فهمه خارج **الأنساق النظرية** التي قدمها علماء الاجتماع الحضري، غير أن **فرادته** تتجلى في **التوتر البنيوي** بين **الفضاء المادي المخطط رسميا والفضاء المعيش يوميا** من طرف السكان. وبينما يفترض أن يشكل الفضاء العام مجالا **للتفاعل الحر والاندماج الاجتماعي وإعادة إنتاج التضامن،** فإن اختلالات التخطيط الحضري، وانتشار ظواهر مثل **احتلال الأرصفة، هشاشة المرافق الثقافية والرياضية، والتفاوت الصارخ بين الأحياء الراقية والهامشية،** جميعها تحد من قدرته على أداء وظائفه **الاندماجية.**

وتوحي **التجربة الجزائرية** بأن الفضاء العمومي يظل في آن واحد **مرآة لبعض الأزمات البنيوية للتمدن (أزمة السكن، تفاقم البطالة، تعميق التفاوت الاجتماعي)**، **ورهانا** لإمكانات المقاومة و**إعادة صياغة أشكال جديدة من التماسك الاجتماعي.** فالممارسات اليومية للسكان، كما برزت بوضوح خلال **الحراك الشعبي سنة 2019،** تؤكد أن الفضاء العام ليس مجرد **انعكاس للعجز المؤسسي،** بل أيضا ساحة

للتعبير الجماعي وإعادة بناء المعنى المشترك. وهنا تتحدد مفارقة حضرية: **بين فضاء رسمي يواجه صعوبات في مواكبة تحولات المدينة، وفضاء معيشي يعيد إنتاج ذاته كأفق للتفاعل والمواطنة الفاعلة.**

إن استعراض أهمية **الفضاءات العامة** في المدن الجزائرية يبرز أنها ليست مجرد **فضاءات فيزيقية** للتنقل أو اللقاء العابر، بل هي **بنى سوسيولوجية** كاشفة لبعض أبعاد **الأنساق الحضرية**. فمن خلال **الأسواق الشعبية، الساحات، المقاهي والمساجد الجامعة**، تتجسد بعض الأفكار التي طرحها **زيمل** و**دوركايم** و**هابرماس** و**لفيفر** حول قدرة **الفضاء العمومي** على **إعادة تشكيل الروابط الاجتماعية، وتنظيم التفاعل اليومي، وتأسيس أفق ديمقراطي محتمل.**

وإذا كانت الأزمات التي عرضناها سابقا –من أزمة السكن والهشاشة الحضرية إلى ضعف الخدمات وتراجع بعض أشكال التضامن– قد تعكس جوانب من **اختلالات التمدن الجزائري**، فإن **الفضاءات العامة** تمثل في المقابل **إمكانا حضريا يمكن أن يساهم في ترميم النسيج الاجتماعي، وإعادة إنتاج المعنى الحضري** على أسس أكثر عدالة ومشاركة. بهذا المعنى، تغدو **الفضاءات العمومية حلقة وسيطة بين المشكلات الاجتماعية التي تفرزها المدينة والرهانات المستقبلية لبناء تماسك حضري قادر على مواجهة ضغوط التمدن المتسارع.**

الخاتمة:

لقد سعى هذا المقال إلى الربط بين الإطار النظري الذي صاغه رواد السوسيولوجيا الكلاسيكية والمعاصرة حول المدينة، وبين واقع التمدن في الجزائر بما يحمله من تعقيدات اجتماعية وبنيوية. فانطلاقا من تصورات **دوركايم، فيبر، ماركس، زيمل، لويس ويرث، روبرت بارك**، وصولا إلى أطروحات **لوفيفر** و**هابرماس**، تبين أن **المدينة لا تمثل مجرد مجال عمراني، بل نسقا اجتماعيا معقدا تتقاطع فيه الأبعاد المادية بالرمزية، والاقتصادية بالثقافية، والسياسية بالاجتماعية.**

وقد أتاح التحليل الوارد في هذا المقال إبراز أن التمدن الجزائري يرتبط بديناميات تاريخية وديمغرافية واقتصادية متسارعة، رافقتها جملة من التحديات الحضرية والاجتماعية التي ظهرت بدرجات متفاوتة في عدد من المدن الجزائرية، من بينها ضغط السكن، وتحديات التشغيل، وبعض مظاهر الهشاشة الحضرية، إضافة إلى إشكالات مرتبطة بالخدمات والبنية التحتية. كما أمكن قراءة هذه الظواهر في ضوء بعض المفاهيم السوسيولوجية، مثل مفهوم **"الأنومي"** عند **دوركايم**، والعدالة المكانية عند **لوفيفر**، بما يساعد على فهم تعقيد الظاهرة الحضرية دون ادعاء تفسيرها بشكل نهائي.

ومن جهة أخرى، أبرز تحليل الفضاءات العامة في المدن الجزائرية أنها لا تقتصر على كونها مساحات عمرانية، بل تمثل **مجالات اجتماعية** يمكن أن تسهم في تنظيم التفاعل اليومي، وتعزيز بعض أشكال **التضامن الاجتماعي** في أفق قريب من التصور الدوركايمي، و**تجسيد كثافة التفاعلات الحضرية** كما عند زيمل، **وفتح إمكانات للتعبير والمشاركة** داخل المجال الحضري بما يقترب من مفهوم الفضاء العمومي عند هابرماس، رغم ما قد يحد من فعاليتها أحيانا من صعوبات تنظيمية أو عمرانية.

وعليه، يمكن القول إن **الإشكالية المركزية** التي طرحها المقال –والمتعلقة بكيفية فهم التمدن الجزائري في ضوء النظريات السوسيولوجية– قد تمت مقاربتها من خلال إبراز أن النظريات الكلاسيكية والمعاصرة توفر أدوات تحليلية مهمة لفهم التحولات الحضرية، مع ضرورة تكييفها مع خصوصية السياق الجزائري ومعطياته التاريخية والاجتماعية.

وتتمثل **الخلاصة الأساسية** في أن المدينة الجزائرية تعكس تداخلا بين تحديات حضرية متنامية، وإمكانات اجتماعية قائمة داخل الفضاء الحضري ذاته، خاصة من خلال الفضاءات العامة وما تتيحه من فرص لإعادة بناء الروابط الاجتماعية وتعزيز المشاركة الحضرية. وهو ما يدعو السوسيولوجيا الحضرية الجزائرية إلى مواصلة تطوير أدواتها التحليلية، والانفتاح على مقاربات تكاملية تجمع بين السوسيولوجيا، والأنثروبولوجيا، والجغرافيا، والاقتصاد، بما يسمح بفهم أكثر شمولية للتحولات الحضرية الراهنة.

يفتح هذا المقال المجال أمام أبحاث مستقبلية أكثر عمقا، سواء عبر **دراسات ميدانية مقارنة** بين المدن الجزائرية، أو من خلال توظيف **مقاربات حديثة** مثل التحليل الشبكي، أو السوسيولوجيا الرقمية لفهم التحولات الجديدة في الفضاءات العامة الواقعية والافتراضية. كما يمكن أن تسهم هذه المداخل في دعم **سياسات حضرية أكثر استنادا إلى المعطى الاجتماعي**، بما يساعد على تحسين نوعية الحياة داخل المدن الجزائرية.

وبذلك، تغدو المدينة الجزائرية مجالا للتحليل السوسيولوجي المفتوح لإعادة التفكير في جدلية التحضر والعدالة المكانية وإمكانات بناء اندماج اجتماعي أكثر توازنا واستدامة.

المراجع

A, R. (2002). *anthropologie urbaine.* paris: Edition press.

Castells, m. (2010, may 10). "the rise of the network society , the information age. *Economy ,society and culture"vol.1.2nd ed , wiley-blackwell, oxford*, p. 442.

fijalkom, Y. (2007). *:, sociologie des villes.* paris: éditeur la découverte.

الحسيني، ا .(1981) .*المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط2*، .القاهرة: دار المعارف.

الخطابي، أ ,2012) .جوان 14" .(نظرية المجال عند جورج زيمل – المجال بوصفه شرطا قبليا للبناء وإعادة البناء الاجتماعي"، 2021، ص . *عمران للعلوم الاجتماعية ، العدد 35، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا ، قطر*، .174-173 .pp ,

الدوس، خ. م) 15 .أبريل 2022 .(روبرت بارك...مؤسس مدرسة شيكاغو الأمريكية في علم الاجتماع . https://www.al-jazirah.com/2022/20220415/cm29.htm.*نافذة من العلوم الاجتماعية، الجمعة/السبت*.22 ,

الدولي، ا .(2024) .، تقرير التنمية الحضرية في الجزائر: نحو مدن أكثر شمولا واستدامة،، واشنطن 2024 . . *البنك الدولي*.26 ,

الدولي، ل .(2019) .، (urban population – algeria)ا، مؤشرات التنمية العالمية: عدد سكان الحضر .*الموقع الإلكتروني للبنك الدولي*، .17 ,

الدولي،، ا .(2025) .مؤشرات التنمية العالمية : معدل البطالة، .*الموقع الإلكتروني للبنك الدولي*.22 ,

السيد، ا. ع .(2006) .*علم الاجتماع الحضري*، .لإسكندرية (مصر)،: دار المعرفة الجامعية،.

السيد، ا. ع2006) .، .(*علم الاجتماع الحضري*، .الإسكندرية (مصر): دار المعرفة الجامعية.

الصمد،، ب. ب .(2011) .معجم *الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا* . بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،.

العزيز، ب. م .(2007) .*علم الاجتماع المعاصر: من الجذور إلى الحرب العالمية الثانية*، .الجزائر،: دار نزهة الألباب للطباعة والنشر والتوزيع،.

الكردي، م .(1986) .*التحضر: دراسة اجتماعية* .القاهرة : دار المعارف.

المالكي:، ع. ا .(2016) .*مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق*، .لدار البيضاء،: دار المغرب.

المعطي، ع. ا .(1978) .*اتجاهات نظرية في علم الاجتماع*، .الكويت،: عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،.

الوطني، ا. ا .(2023) .، *التقرير السنوي حول الجريمة في الجزائر* . الجزائر: المديرية العامة للأمن الوطني.

اليحياوي، ش .(2010) .المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي .*نفاس نت من أجل الثقافة والأنسان*.15 ,

بريقل، ه ,2014) .مارس 18 .(التحضر والأسرة الجزائرية .*مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد7، جامعة ابن خلدون، تيارت*.p. 666 ,

بريقل، ه2014) .، ,مارس .(18التحضر والأسرة الجزائرية ."*مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد7، جامعة ابن خلدون، تيارت*.p. 666 ,

بنمورو، ي ,2013) .ماي 10 .(السوسيولوجيا الكلاسيكية والمسألة الحضرية، .*لحوار المتمدنالعدد 3986*.p. 22 ,

بوخريص، ف .(2019) .*مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا الهجرة والتحضر* .المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية.

حافظ:، م) .،1987 .(*النمو الحضري في المجتمع الحضري، دراسة بنائية تاريخية،* .القاهرة،: دار سعيد رأفت للطبع والنشر.

زكريا، ف .(1981) .*الإنسان والمجتمع في الفلسفة المعاصرة،* .بيروت :دار النهضة العربية.

سمية، ه ,2014) .ديسمبر .(12سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري .*مجلة العلوم الإنسانية، العدد 17، جامعة 20أوت1955، سكيكدة، الجزائ*.20 .p ,

غرايبة، ف : " 2023) .الأحد 12:32 11-6" : 2023 .(-نظرة ثنائية للمجتمع"، ، تاريخ النشر : الأحد 12:32 11-6 . *صحيفة الرأي الأردنية*.10 ,

قاسم:، ش .(2019/2020) .*تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري،* .الجزائر : مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى علم الاجتماع، تخصص حضري،.

قاسم:، ش .(.2019/2020) .تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري، ، .*مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى علم الاجتماع، تخصص حضري* .(p. 23)الجزائر :قسم علم الاجتماع.

للأمن، ا. ا .(2023) .*التقرير السنوي حول الجريمة في الجزائر* .الجزائر: المديرية العامة للأمن الوطني.

ناصيف، س .(2006) .*علم الاجتماع الحضري، المفاهيم، القضايا، المشكلة، ط1،* .جامعة عين شمس القاهرة : كلية الآداب.

نصحي، ل. م : .(2016) .*المدينة على مر العصور أصلها و تطورها و مستقبلها ، ج1،* .القاهرة: المركز القومي للترجمة.

والمدينة، و. ا .(2024) .*التقرير السنوي لنشاطات القطاع لسنة 2023* .الجزائر: وزارة السكن والعمران والمدينة.